قضيتنا الأدبية

بقلم الدكتور سليم حيدر

في هذه الفترة العصيبة * من حياة الامة العربية ، وقوى الشر تريد بالخير شراً، تنصب القوة حقاً بالنار والحديد ، وتنصب المكر حقاً بالمبادئ السامية ممسوخة على هوى المطامع . كأن الحق ليس له وجه معلوم ، كأن الانسانية لم تجاهد ولم تكرس جهادها بالدماء الزكية ، كأن حقوق الانسان لم تعلن ولم تعلن حقوق الأمم بالحياة ، كأن العالم الواعي بحاجة الى افاضة في الشرح والى عقد المؤتمر تلو المؤتمر ليعلم ان بلاد العرب للعرب لهم وحدهم انساناً وارضاً وبحراً وسماء لا يشركون من دون الله فيها احداً ..

في هذه الفترة العصيبة من حياة الامة العربية ينعقد مؤتمر الادباء العرب في عاصمة الامويين .

وانه لمن طبيعة الروح العربية ، وانه لمن سليقة الفكر العربي ، وانه لمن مزايا العروبة الاصيلة ومن صميم رسالتها الانسانية ان ينعقد في دمشق العاصمة العربية العريقة مؤتمر الفكر والروح وقوى الشر تتألب على خنق الفكر والروح .

ونحن اذ نتدارس هنا وسائل تعريف ابناء الأمة العربية بالنتاج الادبي الحديث لكل قطر ووضع الادب العربي بين الآداب العالمية وتفاعل الادب والفنون الجميلة والاديب والناقد والاديب والدولة ، ونحن اذ نتناقش في هذه المواضيع الهامة ونحاول ان نرسم لها على ضوء الماضي وعلى معطيات الواقع خط اتجاه في دروب الفكر ، لا نؤدي بذلك واجباً عربياً فحسب ، وانما نساهم في اداء رسالة انسانية ، رسالة الفكر والروح تلك التي لا بد ان تقضي يوماً على النار والحديد . ولكي نؤدي هذه الرسالة الانسانية يجب ان نعد انفسنا وان نخرج من عزلتنا .

لن استعجل موضوعاً من مواضيع المؤتمر فستبحث كلها بجد وامعان وستناقش وسنخلص منها ان لم يكن الى حلول جازمة ، وذلك مستحيل في عالم الادب والفن ، وجماله وخصبه انه مستحيل ، فالى اتجاهات من شأنها ان تنير السبيل .

ولكن الموضوع الثاني وضع الادب العربي بين الآداب العالمية ، يلح علي كأنه الوحيد ، كأنه هو المؤتمر . وبالواقع اذا لم نتساءل اين نحن في ادبنا من الامم في آدابها ، اذا لم نرصد الحساب بيننا وبين الانسانية فنعرف ما اعطينا وما كان بامكاننا ان نعطي ، اذا لم نعلم لماذا اخذ الادب العالمي قليلا من عطائنا الكثير ، اذا لم نجل اسباب الانطواء على انفسنا ، اذا لم نمهد سبل الانطلاق الى العالم الفسيح ، فسنبقى في عصر الاتصال الاثيري دودة نشيطة تختنق في شرنقة حميلة .

وفي رأيي ان المآخذ التي تؤخذ على لغتنا وعلى اوضاعنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية مهما بلغت من الاهمية ليست هي العائق .

الدكتور سليم حيدر

فاللغة العربية ليست لغة الترف وحسب كما يحب ان يصورها بعض الغيارى المصلحين وجميع الاعداء المخربين . واية لغة في العالم ارسخ دعائم من هذه اللغة التي تنتصب في زوابع الفكر كالماء ، منذ عشرين قرناً لا نعرف لها طفولة ولا نتلمس لها شيخوخة وانما هي شباب دائم التجدد .

لغة تطورت ولا تزال ، حتى استوعبت وتكاد اليوم تستوعب جميع خلجات النشاط الفكري والنفسي فيسبقها العلم احياناً فتفتقر الى مفردات فلا تلبث ان تجدها مشتقة من صميمها او مستمدة متملكة ، واية لغة لا تحتاج الى تركيز كيانها من حين الى حين في مهب عواصف الفكر ، واية شجرة دائمة الاخضرار لا تتغير اوراقها ؟.

ولكن الاصول ضاربة في الارض ، والذين تهولهم الفروع الباسقة يتوخون قطع الاصول يطالبون بتبسيط القواعد ، والقواعد لا يمكن ان تمس فلكل لغة روحها وكيانها . اما ما لصق بالاصول من اعشاب الارض ، اما ما علق بالقواعد

* الكلمة التي القاها الدكتور سليم حيدر باسم الوفد اللبناني في حفلة افتتاح مؤتمر الادباء العرب الثاني بدمشق .

من حذلقات اللغويين في طور من اطوار اللغة ، فقد لفظته اللغة وقد مجه الناس .

كذلك العبارات المحنطة في فقه اللغة وامثال فقه اللغة ، لم تعد رائد المريدين ، وازدواجية اللغة بين الفصحى واللهجات العامية ليست العقبة الكأداء وفي كل لغة ازدواجية ويتسع الشق ويضيق بحسب مستوى الامة الثقافي ، فالعلاج في العلم لا في بتر اصول اللغة .

وما تحمل اللغة العربية من صعوبات اصيلة بين اعلال وادغام وتثنية وجموع وسلامة في الجمع او تكسير ، بين قياس وسماع بين القاعدة والشواذ ... هذه الصعوبات وامثالها لا تخلو منها في كثير او قليل لغة من لغات العالم .

وما رأيكم بالالمانية مثلا والاعراب فيها يلحق حتى الاداة ؟

ولعل المؤامرة الاستعمارية الكبرى على اللغة العربية وعلى العرب من ورائها هي الدعوة الى الحروف اللاتينية ، والحرف للمعنى بعد هذه الملازمة الطويلة كالجسد للروح .

اللغة العربية تتبسط من تلقاء نفسها بدافع حيويتها على كر العصور في كل ما يمكن تبسيطه . كتابة الحروف سائرة الى ما هو اسهل والالفاظ الاوابد زالت والعبارات الجاهزة امست للتاريخ القديم وبرزت في النثر وفي الشعر العبارة التي تظهر الفكر بادق مقاصده ، والتجربة الشعرية باروع ما تختلج فيها .

فاللغة العربية مع ما تحتاج اليه من صقل التطور ليست هي العائق .

اما الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فخلاصة المآخذ عليها ان الاديب لا يستطيع ان يعبر بحرية عن كل شيء ، وانها لا توفر له اسباب الحياة والاطمئنان الى الغد . وهذا صحيح ولكنه لا يمنع انطلاق الاديب العربي الى الاجواء الانسانية فكم رائعة عالمية اتت وليدة الاضطهاد الفكري ، وكم رائعة ولدت في الفقر المدقع .

المهم في الادب ان تتناول عبقرية الاديب باسلوب عبقري موضوعاً عبقرياً اذا جازت التسمية ، موضوعاً انسانياً بل لعل عبقرية الموضوع شيء ثانوي فكل موضوع الى حد ما ، انساني بطبيعته وانما طريقة اخراجه هي التي تقرر المصير .

المهم ان نخرج من السطحية اللفظية ومن الاطار الضيق الى صلب المشكلة الانسانية اللاصقة بمشاكل الكون ، بمشاكل المادة ، بمشاكل الكينونة والعالقة بمشاكل ما وراء الكون ، بمشاكل الروح ، بالغيبيات واسلاكها الخفية . ولكي يكون ذلك يجب ان تتوسع ثقافة الادب العربي فتشمل كل شيء .

وثقوا ان الادب العربي واصل بالنتيجة الى هذه الغاية ، فقد استيقظت الروح القومية تلهب الصدور وعبقرية الادب موثوقة الى حد بعيد بالوعي القومي المنبثق من عبقرية الأمة .

سليم حيدر

مختارات من السياسة العالمية

السلسلة التي قرأت فيها

	ق.ل
١ ـ المسألة اليهودية	٧٥
٢ ـ الجزائر حتف الأستعمار	١٠٠
٣ ـ الصين في موكب النور	١٠٠

تقدم لـــك اليوم

الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ٢٠٠

بقلم نخبة من الاقتصاديين الفرنسيين الكبار

هنري كلود ـ اندره بريان ـ ايف لاكوست

مع دراسة خاصة عن

معطيات القضية الجزائرية

الكتاب القادم

ألقنـــاة لمصر

بقلم

ميشال سليمان

منشورات مكتبة المعارف ـ بيروت